كيف ينبغى أن تكون الاخلاق لتحقيق سلام عائلى

للأستاذ عطيه مصطفى مشرفة

الشعور بأمراض الأسرة وآلامها والعمل على ما يحقق وجود العدل الاجتماعى فيها وكفالة توزيع المغارم والمغانم بين أفرادها، يدل على سمو الأمة الخلقى وكمالها الأدبى، ويبرهن على أن كيانها الاجتماعى يقوم على أساس سليم وطيد . فالأسرة هى قطب دائرة الأمة والنواة الاجتماعية الأولى للمجتمع المصرى . والانسان مدنى بطبعه ليس فى قدرته أن يظل منعزلا عمن حوله فهو محتاج دائما إلى مساعدة غيره له فى كل أطوار حياته ، فالأسرة إذن هى أول خلية اجتماعية وجدت فى الجنس البشرى ، وهـذه الوحدة الاجتماعية الأولى اشتملت على جمع من الأفراد ربطتهم صلة القرابة وجمعتهم رابطة الدم والنسب، فأفراد الأسرة متضامنون يحافظون على أموال أسرتهم وحقوقهم ويحمون أفرادها . لذا قال أرسطو " إن الأسرة هى مصدر الدولة وأساسها الذى تقوم عليه " فكان رب الأسرة يدير شئونها الداخليـة ويتولى أمورها الخارجية أمام الجماعات الأخرى وفقا للتقاليد والعادات .

الخزانة العامة لا تستطيع فى حدود مواردها أن تنهض بأكثر مما تنهض به من الخدمات الاجتماعية الحالية . فيجب أن تنهض إلى جوارها جهود الأفراد فى الأسرة ، هذا بفكره وذاك بوقته وذاك بماله ، إذ لا يستحق أن يسمى إنسانا من لا يشعر بحق أخيه الإنسان . إن الشرائع الإنسانية والسماوية توجب علينا أن نوجد للشيوخ والعجزة ما يخفف عنهم البؤس والهوان ، وألا نترك الأطفال يعانون شظف العيش والحرمان ، وإلا نذر اليائسين يذرفون دموع الأسى والآلام لأنهم محرومون من الطعام والمأوى والكساء .

كيف يهنأ الغنى فى أسرته بلذيذ المأكل ومرىء المشرب وفاخر الملبس ولذيذ العيش ، وبعض أقاربه الفقراء صفر الوجوه غائرو العيون ، يبيتون على الطوى جائعين غير كاسين ، يتقلبون على فراش الآلام والسقام مرضى منهوكين ؟ .

لقد جمدت النفوس وتحجرت الأفئدة وغاض الاحسان وقل رصيد الوفاء .

خص الله سبحانه بعض أفراد الأسرة دون بعضها بالمال ، نعمة منه عليهم ، وجعل شكر ذلك منهم إخراج جزء من مالهم يؤدونه إلى من لا مال له ، بلغ ربع العشر أى ٢,٥٪ حتى يبعد عنهم نظرة الحقد من فقراء أسرته . قال تعالى :

" خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا (١) " .

وقال عليه الصلاة والسلام "أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم" .

فالتضامن الاجتماعى فى الأسرة بين المتمتعين والمحرومين هو أحد مشاكلنا الاجتماعية . وغنى الأسرة لا يتبرع إلا اذا لاح له ولو عن بعد بريق رتبة أو نيشان .

الأخ الغنى متباعد عن الفقير ، والقريب الغنى متباعد عن صلة ود قريبه البائس ويتجاهل وجوده وقرابته . والتراور يكاد ينقطع بين أفراد الأسرة الأغنياء وأفرادها الفقراء ، الموظف الكبير فى الأسرة يتجاهل الموظف الصغير فيها ، موائده وحفلاته فى المواسم والأعياد وغيرها خالية من هؤلاء البؤساء الفقراء الذين هم أقرب الناس اليه ، مزدحمة بأثرياء لا صلة له بهم . فهو فى أفراحه يجتهد فى أن لا يدعو الفقير من أهله وعشيرته ، وفى أتراحه يخجل أن يراه . بل إن من أفراد الاسرة من يقف يشايع الظلم ويؤيد رغبات تنافى الدين والمروءة وتخالف ماقضى به الله سبحانه وتعالى حتى يتمتع هو غنيا ويلزم الفقر أخاه المحروم أو أخته المحرومة من الاستحقاق فى وقف ، وقد يكون الواقف أبا لهما ، مع أن الله فرض الفرائض فى سورة النساء بآيات التوريث وأكدها بقوله :

" تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٢) " .

ناسيا أن الظلم لا يعتبر حقا مكتسبا فى أى وقت من الأوقات ، وأن واجب الفرد فى الأسرة أن يرد هذا الظلم ويرفعه على الأقل فى دائرة أسرته ، وأن يهد الجو بين أفراد أسرته لاحقاق الحق ولإقامة العدل ، فالشرائع السماوية تحض على تحقيق المساواة بين الناس ولا تقبل أن ينعم القليل من الأسرة فى بحبوحة من الرفاهية وسعة من الرزق وأن تتضور الأغلبية جوعا .

(١) سورة التوبة آية ١٠٣

(٢) سورة النساء آيتا ١٣ و ١٤